الفصل الثالث
أسباب العنف عند الأطفال

مقدمة:

انتشرت في العقود الثلاثة الأخيرة ظاهرة العنف بين الأطفال بصفة عامة، وأطفال المدارس بصفة خاصة. وقد ظهرت دراسات عديدة بشأن أسباب ظهور العنف والعدوانية عند أطفال المدارس، خاصة عند تلاميذ المرحلة الابتدائية. وقد أشارت هذه الدراسات إلى أن سوء التربية أو المعاملة القاسية، أو الدلال الزائد أو البيئة المحيطة بالطفل، تعد جميعها من العوامل الرئيسة لبروز صفة العدوانية لدى هؤلاء الأطفال الصغار.

اكتشاف "جين" مسئول عن العنف عند الأطفال:

ونؤكد هنا، أن من أسباب السلوك العدواني عند الأطفال البرامج الكرتونية. ولكن في إحدى الدراسات التي أُجريت في بريطانيا على 1037 طفلًا ذكرًا، منذ ولادتهم، وإلى أن بلغوا 26 سنة، قام الباحثون خلال الدراسة بمتابعة سلوكيات الأطفال بين أصدقائهم وأفراد عائلاتهم، إلى جانب التحقق من سجلات الشرطة بصفة مستمرة، كما ركزوا على التربية الوراثية الجينية، وعلاقتها بالبيئة المحيطة بها، والظروف التي يتعرضون لها.

وخلال الدراسات، كان الاكتشاف المُذهِل الذي غير مسارها، أن غالبية الأطفال الذكور لديهم جين معين موروث، وأن هذا الجين يتحكم في إفراز أحد الإنزيمات؛ حيث إن هذا الإنزيم يؤدي إلى تعطيل أجهزة الإرسال العصبية، أو المواد الكيمياوية التي تنقل الرسائل، وكذلك

اكتشفوا أن إفراز هذا الإنزيم يرتبط بالحالة النفسية والتعرض للعنف؛ لذلك فإن العقاقير المضادة للاكتئاب يمكِنها وقْف إفراز هذا الإنزيم

ولقد اكتشف فريق البحث أن هذا الجين المسئول عن السلوك الإجرامي لدى الأطفال موجود في أطفال آخرين من أصحاب السلوك المنضبِط، الذين يتمتعون بقدر كبير من الهدوء والالتزام، ولكن هذه السلبية لم تَدم طويلًا؛ إذ اكتشف العلماء أن هذا الجين ينشط فقط عندما يتعرض صاحبه للحرمان، أو سوء المعاملة خلال مدة الطفولة؛ حيث أسفرت الدراسات عن أن 75٪ من أصحاب هذا الجين الوراثي الذين عانَوا من سوء المعاملة في طفولتهم، هم الذين أصبح سلوكهم فيما بعدُ إجراميًّا ومخالفًا للأصول الاجتماعية. أما الذين عاشوا في منازل هادئة واحتوتهم أُسرهم، فقد كانوا أكثر ميلًا إلى الهدوء والانضباط. والغريب أن الجين الوراثي لديهم تحول إلى "جين" مفيد، حماهم من التوتر في المواقف المختلفة. ويقول العلماء الذين أجروا هذه الدراسات البحثية: إن نتائج أبحاثهم تؤكد أن أفضل طريقة لحماية المجتمع من أعمال العنف وخفض الجريمة، هي مراعاة عدم استخدام العنف في معاملة الأطفال، ويعتقد بعضهم أن هذه الدراسة ربما تساعِد في تطوير صناعة عقاقير دوائية لمحاربة الجريمة، بالتعامل مع الجينات الوراثية المسئولة، إلا أن البعض أبدى قلقَه من تصنيف الأطفال على أنهم مثيرو متاعب، قبل أن يرتكِبوا أية جريمة يُحاسبون عليها؛ وذلك اعتمادًا على تحليل الجينات الوراثية، وأعلنوا كذلك عن قلقهم من السعي إلى استخدام عقاقير لمحاربة الجريمة بدلًا من معالجة

المشكلات الاجتماعية المتأصلة؛ للقضاء على أصل صفة العدوان لدى الأطفال.

وأشارت (سي إن إن) الإخبارية إلى دراسة بحثية أخرى، نشرت نتائجها حديثًا، وربطت بين وسائل الإعلام وما تَبثه من مشاهد العنف، ومشاكل النوم التي يعانيها الأطفال، وكشفت الدراسة عن وجود علاقة سببية بين المشاهد غير الملائمة والعنيفة التي ينقلها الإعلام المرئي، وقلة النوم لدى الطفل.

ولقد وجد الباحثون بعد مراقبة ساعات مشاهدة التلفزيون ونوعية النوم لدى أكثر من 500 طفل، تراوحت أعمارهم بين سن الثالثة والخامسة، أن استبدال بدائل تعليمية وتثقيفية بما يتلاءم وسن المشاهِد بمشاهد العنف، له تأثير إيجابي، وقال الباحثون: النتائج لم تكن بمنزلة

مفاجأة للكبار؛ لأن مشاهدة مشاهد العنف قد يسبب القلقَ للأطفال الصغار، وهو ما قد يحدث خللًا واضحًا في النوم. وجدير بالذكر، أن نتائج البحث استخلصت من دراسة موسعة؛ هدفها خفض السلوكيات العدوانية بين الأطفال، باستخدام عدد من الوسائل، من بينها إجبار الآباء على اختيار نوعية المحتويات الإعلامية المناسبة لأطفالهم، على خلفية دراسات سابقة، وجدت أن تعريض الأطفال الصغار لمشاهد العنف يجعلهم أكثر عدوانية، بجانب إصابتهم بمشاكل سلوكية وعاطفية.

ولقد أوصت الدراسة بعدم مشاهدة التلفزيون للأطفال أقل من سنتين، والسماح لمن هم أكبر بمشاهدة البرامج التلفزيونية النوعية، بما لا يتعدى ساعة إلى ساعتين يوميًّا؛ حيث إن السنتين الأوليَين من عمر الطفل هما مرحلة حرجة لنمو المخ.

الألعاب الإلكترونية وعنف الأطفال:

من المؤكد، أن الألعاب الإلكترونية العنيفة لها دور في زيادة العنف لدى الأطفال. وقد أشارت مجلة طب الأطفال الصادرة في لندن في دراسة عن تشكيل سلوكيات هؤلاء الطلبة بحيث يصبحون مجرمين، أو حاملي خصلة الإجرام مستقبلًا. وهناك العديد من الدراسات التي تدرس "أثر الألعاب الإلكترونية على عزوف الأولاد عن الدراسة"؛ والتي تهدف إلى أن يعرف الآباء والأمهات أسباب تدني التحصيل الدراسي للأولاد، ومنها هذه الألعاب الإلكترونية، وكيف نُوعِّيهم بسلبيات أجهزة التكنولوجيا،

والتعامل معها بحذر، خاصة أنه قد لا نستطيع تعديل سلوكيات الأبناء نحو الأفضل إذا أدمنوا ممارسة الألعاب الإلكترونية العنيفة.

أسباب العنف عند الأطفال:

تعاني نسبة كبيرة من الأمهات من تصرفات أطفالهن العدوانية، وخاصة في عمر الرابعة وحتى ثماني سنوات؛ حيث تتسم تصرفاتهم بالعنف، والاعتداء على أقرانهم لفظيًّا أو جسديًّا، بالإضافة إلى الصراخ، وعدم تلبية طلبات الأم، وتخريب ممتلكات المنزل؛ حيث يتميز الطفل العنيف بالحركة الزائدة، والسعي لاستفزاز الآخرين، بالإضافة إلى الأنانية وحب التملك، ورفض مساعدة من حوله. والحقيقة أن بعض هذه التصرفات تولد مع الطفل؛ نتيجة لبعض العوامل الوراثية، وبعضها الآخر يكتسبه الطفل من بيئته.

ويمكن أن نوجز أسباب انتشار ظاهرة العنف في الأسباب التالية:

أولا: عوامل ذاتية:

العوامل الذاتية هي العوامل التي يكون مصدرها في الفرد ذاته، ومن أهم العوامل الذاتية المؤدية إلى العنف ما يلي:

1- الشعور المتزايد بالإحباط.

2- ضعف الثقة بالنفس.

3- الاضطرابات الانفعالية والنفسية، وضعف الاستجابة للمعايير الاجتماعية.

4- الرغبة في الاستقلال عن الكبار، والتحرر من السلطة الضاغطة على الطلاب، والتي تحول دون تحقيق رغباتهم.

5- عدم القدرة على مواجهة المشكلات التي يعاني منها الفرد.

6- العجز عن إقامة علاقات اجتماعية سليمة.

7- الشعور بالفشل والحرمان من العطف.

8- عدم القدرة على تحكم الفرد في دوافعه العدوانية.

9- الأنانية، وتعني حب الفرد لنفسه فقط، والتقليل من شأن الآخرين.

10- إدمان المخدرات؛ لأن المدمن يعاني اضطرابات نفسية تدفعه إلى العنف.

11- ضعف الوازع الديني؛ لأن الدِّين هو الذي يهذِّب سلوك الفرد، ويُبعده عن سلوك العنف والانحراف.

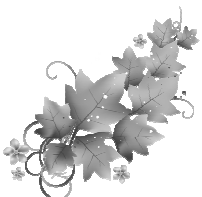

ثانيًا: التنشئة داخل الأسرة:

الأسرة هي الجماعة الإنسانية الأولى التي يمارس فيها الطفل أولى علاقاته الإنسانية؛ ولذلك فهي المسئولة عن إكسابه أنماط السلوك الاجتماعي، والكثير من مظاهر التوافق ترجع إلى نوع العلاقات الإنسانية في الأسرة؛ حيث إن للأسرة دورًا مؤثرًا وفعالًا في الانحراف والسلوك العنيف؛ وذلك لما تحتله الأسرة من أهمية حيوية في عملية التنشئة الاجتماعية للفرد.

تعتبر الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الأولى المسئولة عن تكوين شخصية الطفل من النواحي العقلية والوجدانية والأخلاقية والجسمانية والاجتماعية والنفسية، وإذا كان لبعض المؤسسات الاجتماعية الأخرى دور في عملية التنشئة الاجتماعية، فإنه دور ثانوي؛ لأنه يأتي في مرحلة زمنية لاحقة على السنوات التكوينية الأولى التي يعيشها الطفل في أحضان أسرته.

ويمكن أن نوجز أسباب سلوك العنف التي ترجع إلى الأسرة فيما يلي:

1- التفكك الأسري.

2- التدليل الزائد من الوالدين.

3- عدم متابعة الأسرة لسلوك الأبناء.

4- الضغوط الاقتصادية للأسرة.

ثالثًا: أسباب متنوعة:

مما لا شك فيه، أن هناك مجموعة من الأسباب المتنوعة، والتي قد تتداخل فيما بينها، والتي يكون من نتيجتها أن تغير من طبيعة الطفل؛ بل ومن سلوكياته، وتجعل تصرفاته تتسم بالعنف بدرجاته المتفاوتة.

وسوف نذكر أهم تلك الأسباب بشيء من التفصيل على النحو التالي:

1- **الرغبة في التخلص من ضغوط الكبار:**

يعاني الطفل من الضغوط التي تنتج عن الكِبار، والتي تمنعه وتقف عائقًا عن تحقيق رغباته، وهذه التصرفات العدوانية التي تبدو من الطفل تعتبر ردودَ أفعال لهذه الضغوط، فعلى سبيل المثال: عندما تطلب الأمُّ بعضَ الأعمال من الطفل، وتلحُّ عليه في تنفيذها، وتَزيد هذه الأعمال عن طاقة الطفل؛ كأن تطلبَ منه أن يقوم بأداء واجباته، وأيضًا يحضر الدرس الجديد، ثم يقرأ، ثم يشاهد برنامجًا اختارتْه هي، ثم تطلب منه أن يساعدَ أختَه في أداء الواجبات ... وهكذا.

2- **التدليل (الدلع) الزائد:**

تبالغ بعض الأسر في تدليل أطفالهم، وربما يتمثل ذلك في تلبية جميع مطالب الطفل، مهما كانت نوعيتها أو قيمتها المادية، أو وقت طلبها. وفي الحقيقة، فإن ذلك شيء سيئ، وله آثار سلبية على شخصية الطفل في المستقبل. ونشير إلى أنه لظروف ما قد لا تستطيع الأسرة تلبية طلب الطفل كما كانت تفعل، ولذلك في حال رفض طلب الطفل، فإنه غالبًا ما يقابل ذلك بتصرفات هائجة، تتمثل في الصراخ والصياح، والتدحرج على الأرض.

كذلك، هناك بعض الأسر التي تحيط طفلها بسياج من الحماية الزائدة، والذي يمثل ضغطًا نفسيًّا على الطفل، ربما ينعكس سلبًا على تذمر الطفل ورفضه لذلك الحرص الشديد، الذي يقف حاجزًا للانطلاق الذي يتوق إليه.

3- **المحاكاة أو التقليد:**

تؤثر البيئة التي يعيش فيها الطفل تأثيرًا كبيرًا على سلوكياته وتصرفاته، فمن الثابت أن غالبية الأطفال يتعلمون السلوكيات، سواء الإيجابية أو السلبية من النماذج والصور التي يشاهدونها كل يوم. ونلفت الانتباه هنا إلى أنه إذا كان أحد أفراد الأسرة عصبيًّا، فإن ذلك ينعكس على تصرّفات الطفل، وخاصة إذا كان أحد الوالدين؛ كالأم أو الأب، إلى جانب ما يشاهده الطفل يوميًّا من نماذجَ في الصور المتحركة، والمسلسلات التليفزيونية، التي تتصف بأعمال العنف والعدوانية، وغالبا ما يحاكي الأطفال هؤلاء الشخصيات السلبية في تصرفاتهم العدوانية.

4- **الغَيْرة:**

تشير الدراسات الخاصة بالأطفال إلى ظاهرة تحدث في عالم الطفل، وهي الغيرة. فنجد أن بعض الأطفال ربما يشعر بالغيرة من نجاح طفل

آخر، حتى وإن كان أخاه، فتبدو عليه تصرفات عدوانية نحوه، تظهر على شكل مشاجرة لأتفه الأسباب، أو تشهير، أو إلقاء الشتائم.

5- رغبة الطفل في جذب الانتباه:

هناك حالات خاصة، يشعر فيها بعض الأطفال بتجاهل من حولهم، وخاصة والديهم أو أخواتهم الأكبر منهم. ولذلك، نجد أن هؤلاء الأطفال يحاولون جذب انتباه أو اهتمام والديهم أو أحدهما لهم، وذلك باستخدام القوَّة والعنف تجاهَ الآخرين، وخاصة نحو الإخوة والأخوات. ولذلك، نطالب الآباء والأمهات بأن يتفاعلوا مع أطفالهم، وأن يشعروهم أنهم مهتمين بهم، وأن يستمعوا إليهم؛ ليتعرفوا إلى مشاكلهم واحتياجاتهم؛ حتى يجنبوا أبناءهم اللجوء للعنف.

6- **تراكم مواقف الإحباط:**

عندما يمر الطفل بمواقف محبطة، مثل تَكرار السنة الدراسية، أو منع الطفل من أداء نشاطات محببة، فإن ذلك يؤدي به إلى إظهار سلوكيات عدوانية، مثل: ضرب الإخوة الأصغر منه، أو الأطفال زملاء المدرسة، أو الجيران.

7- **العقاب الجسدي:**

عندما يعاقَب الطفل بقوة، ويستخدم الضرب واللكم والصراخ، والتوبيخ المحرج، فإن المظاهر العنيفة تؤدي بالطفل إلى الشعور بالظلم، وتكون ردود أفعاله عدوانية تجاه أفراد أصغر منه، أو أضعف منه، وتصبِح هذه التصرفات العدوانية عادة قد رسخت، ومن الصعب التخلص منها.